مجلة ريحان للنشر العلمي تصدر عن مركز فِكر للدراسات والتطوير WWW.FIKER.OR
العدد السابع : ص ص 327-342 ISSN:2709-2097
12فبراير2021

سيميائية اللّون ورمزيته الدلالية

Color semiotics and its semantic symbolism

د/ كلثوم مدقن

جامعة قاصدي مرباح ورقلة الجزائر

University kasdi merbah ouargla Algeria

Medakene keltoum

Keltoummedakene@yahoo.fr

الملخص:

ويعدّ اللّون سرّ من الأسرار، و وسيلة للفهم والتعبير وهو يحتاج إلى زمان ومكان وهو مثل الموسيقى التي تريح الأذن عند سماعها ، وهو قوّة موحية جذّابة تؤثّر في جهازنا العصبي وللنفس فرحة لا يستهان بها عند النظر إليه، واللون من المثيرات التي ينجذب إليها الفرد ، ويدركها عن قرب إدراكاً ثقافياً بواسطة الأيقونة البصرية وترتبط أبعاده الاجتماعيّة مستندة إلى قيم مرجعيّة تعكس حالات ممثلة في الفرح والحزن، وعن طبقات اجتماعيّة ممثلة في الغنى والفقر، كما أنّها تعكس طقساً جوياً بارداً أو حاراً حسب كل شعب وبيئة ، ولعلّ أهم ما يستند إليه الفرد في قيمه تلك (الدين) الذي يعنى بالاحترام والقدير.

الكلمات المفتاحية: الالوان. الدلالة. السيمياء. الرمز

Abstract:

Colour is considered one of the secrets and a means for comprehension and expression. It needs to be expressed in time and space. It resembles the music that relaxes when it is heard. Colour is a suggestive and attractive force which impacts on our nervous system. Our souls get pleased by colours. In addition, colour is one of the stimuli that the individual is attracted to. It is perceived via cultural awareness by means of visual iconography. Its social dimensions are interconnected based on reference values reflected in

states of joy and sadness and on social classes represented in wealth and poverty. Also, it reflects cold or hot weather according to peoples and their environments, and perhaps the most important thing that the individual relies on in such values is religion, which volorizes respect.

Keywords: colours, signification, semiotics, sign

مجلة ريحان للنشر العلمي تصدر عن مركز فِكر للدراسات والتطوير WWW.FIKER.OR
العدد السابع : ص ص 327-342 ISSN:2709-2097

مقدمة:

اللّون عنصر أساسي في الكون وهو من المدركات البصريّة التي ستخدمه معياراً للحكم على الأشياء والفصل بينها، وله اتصال بالنفس البشريّة في مختلف شؤون حياتها، حيث ارتبطت معرفة الإنسان باللّون منذ القديم من خلال الطبيعة التي خوّلته معرفة خصوصياته وإدراك ميزاته، فقابلته السماء بزرقتها ولمعان نجومها والأرض في اخضرارها وأزهارها المتنوّعة لذلك تعلّق الإنسان بها وافتتن بجمالها وربطها بمشاعره وأحاسيسه بأبعاد نفسيّة ودينيّة وبيئية ، والظاهر أنّ إدراك الألوان مرهون بالأيقونة البصريّة التي تتأثّر سريعاً بما يحيط بها ، فنجد النفس البشريّة تميل إلى هذا اللون وتستهجن ذاك حسب أنماط حياتها البيئية التي ينحدر منها، ويتعلّق الأمر بالطبيعة التي يعيش فيها الفرد ويتعوّد عليها منذ ولادته، لذلك نجد أنّ الكثيرين ممن يغيّروا مكان إقامتهم إلى أخرى لا يتفاعلون بسرعة مع المحيط الجديد خاصّة إذا تعلّق انتقالهم من مكان مخضر زاهي الألوان إلى مكان شاحب خالي من الاخضرار لأنّ في اللون« قوة إنه ينشّط أو يهدئ ، يثير أو يسكّن ، يشعر بالحرّ أو بالبرد يزعج أو يفرح ، يولّد إحساس بالشغف أو يرفع المعنويات » ، وتلك القُوّة تختلف من فرد لآخر حسب درجة تفاؤله ومكان تواجده وقُوّة انفعاله مع المحيط الذي ينتمي إليه مع وجود أثر لما يعطيه أفراد الجماعة من دلالة للألوان حسب الزمن وحتى الموضة أو الأثر الذي يضيفه الفرد للّون.

الأهمية: تعتبر دراسة الألوان من أهم الدراسات الحديثة كونها تفك شفرات العديد من المعاني والدلالات اللالغوية وهي أقوى في التعبير من اللغة نفسها وتكمن أهميتها في التباين الموجود لدى القاري حسب النسق الاجتماعي الذي ينتمي إليه كل فرد وكذا المرجعية والقراءات التأويلية حسب رولان بارث.

الاشكالية: تطرح العديد من الإشكالات على مستوى تأويل القاريء فاللون الأبيض مثلا إن كان يدل على الفرح والسلام لدى عامة الناس إلا أنه يرتبط في عرفنا الديني بالكفن والعمى والبرص والشيب وهي دلالة سلبية معاكسة تماما لما تداول عند الكثير من المجتمعات، و الاشكالية المطروحة في هذا الموضوع ما الدلالة الرمزية التي تطرحها الألوان في القراءات التأويلية للأفراد باختلاف الأنظمة التي يعيشون فيها ويتواصلون بها

الدراسات السابقة:

ومن أهم الدراسات التي تناولت معالجة موضوع الألوان نذكر:

أحمد مختار عمر ، اللغة واللون

محمّد خان ، العلم الوطني ، دراسة في الشكل واللون

مجلة ريحان للنشر العلمي تصدر عن مركز فِكر للدراسات والتطوير WWW.FIKER.OR
العدد السابع : ص ص 327-342 ISSN:2709-2097

المنهج المتبع: ويعتبر اللون من الخطابات السيميائية التي حظيت بالدراسة والتحليل لدى الكثير من الدارسين للدلالة على القوة في التعبير والبلاغة في إيصال المعنى حتى صار من الأنظمة الاجتماعية التواصلية اليومية كعلامات المرور , ولذلك اقتضت مني الدراسة اتباع المنهج السيميائي لإيضاح ذلك مركزة على اتجاه بيرس وكذا بويسينس التواصلي ومعتمدة على الاتجاهات الثلاث التي جاء بها مارسلو داسكال في تحليل الدلالات وتأويلها.

أولاً-تعريف اللّون:

الأصل أنّ الألوان عند الباحثين وعبر الأزمنة التي مرّت بها ارتبطت بالأشكال استناداً إلى وجود قيم دلالية مشتركة بينها أو وجود نوع من التناظر بين ما يحيل عليه اللون وبين ما يحيل عليه الشكل؛ دائري أو مربّع أو مستطيل أو حتى مثلّث، وعلى هذا الأساس تمّ التعامل مع الألوان باعتبار الموقع الذي تحتله داخل ملفوظها لا باعتبارها موضوعات محسوسة فقط وهو نسقها اللغوي والسياق الذي تركّب فيه ،فالأصل في الأشياء هو التقابل[1] **Hétérotopie** بين المتناقضات منها: (الصمت والكلام ، السكون والحركة) لذلك اعتبرت النقطة أصل الأشكال ومنطلق كلّ تعبير تشكيلي، كما ترمز خارج أي سياق إلى الرابط الوحيد والنهائي بين الصمت والكلام، والخط هو آثار النقطة المتحرّكة و نتاجها وما بعد النقطة والخط تأتي الأشكال بمعانيها منها؛ المثلث المرتبط بالأصفر، والزاوية القائمة والمربّع مرتبطان بالأحمر ،أما الزاوية المنفرجة والدائرة فمرتبطان بالأزرق.[2]

ولم يعد مفهوم اللون في نظر المختصين مجرّد نسقSystématique إشاري بسيط سهل الإدراك والتحليل وإنما اعتبر« موضوع معقّد وهو جزء من خبراتنا الإدراكيّة الطبيعيّة للعالم المرئي ، واللون لا يؤثر في قدرتنا على التمييز بين الأشياء فقط ، بل ويغيّر من مزاجنا وأحاسيسنا ويؤثر في خبراتنا الجماليّة بشكل يكاد يفوق تأثير أي بُعد آخر يعتمد على حاسة البصر أو أي حاسة أخرى »[3] ولقد اعتبر اللون مزيج من الأشكال « فهو التفاعل بين الأشكال والأشعة الضوئيّة الساقطة عليها ،

[1] التقابل: هو التباين نقيض للتشاكل، يرصد العلاقات المتنافرة، أو المتناقضة التي تفضي إلى تحديد الدلالة السيميائية للمعنى: ينظر: جاب الله أحمد ، الملتقى الوطني الثاني السيميائي و النص الأدبي ،التشاكل و التباين في لامية العرب 18-16 أفريل 2002.

[2] ينظر: سعد بنكراد ، السميائيات ، مفاهيمها وتطبيقاتها ، ص : 100.

[3] محمد هزاع الزواهرة ، اللون ودلالته في الشعر ، ص : 15.

فيؤلف بذلك المظهر الخارجي لهذه الأشكال والألوان في اللّوحة بانسجامها وترابطها مما يحقق الوحدة الجماليّة وهي كالأنغام في الموسيقى تمثّل الاتزان والتماثل والإيقاع، وهو تغيير لحالات فسيولوجيّة وسيكولوجيّة مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بحالات النفس المتقلّبة وأطوارها العميقة؛ من حبّ وكراهيّة وارتياح وطمأنينة »[4]، وتشكيلات اللون جعلت منه مكسباً للتأويل ومرجعية لإدراك خفايا الأشياء وانعكاسها على الأفراد حيث استمد مدلوله حسب النظام الذي ينتمي إليه بوظيفة تميّزه عن نظام آخر، ففي نظام السير يرمز (الأحمر) إلى التوقّف بينما يتحوّل في أنظمة أخرى إلى معاني مختلفة تماما، ففي نظام الشعر يدلّ على (الحب والمودّة) ويجرّ إلى مفهوم الحزن لدى الشعوب الهنديّة الذي ترتديه في أحزانها، ويستمرّ التعقيد من خلال الشارح للّون الذي يختلف من شخص لآخر حسب سنّه وثقافته وميوله، ونجد اللون الأخضر أكثر الألوان إدراكاً وتحسساً عند الصغار وأقربه استعمالاً مستندين في ذلك إلى المرجعيّة البيئية والدينيّة، ويربط الطفل اللون الأخضر بالجنة التي يستمدّ دلالاتها من حكايات أهله عليها، والطبيعة التي تبهره بجمالها عبر فضائها الواسع الرحب.

1-اللون والدلالة الجمالية

للّون ظهور بارز من الناحيّة الجماليّة يضفي سرّاً عميقاً للعين التي تعمل على التمييز بين مستحسنه ومستهجنه« فالصلة بين عالم الأبصار وعالم الشعور صلة وثيقة وارتباط قوي يجمع بين الحسّ والذوق وبين الإمتاع والاستحسان فتكون استجابة العين بالحسّ أو القبح انعكاساً لانفعال حسّي بالقبول أو الرفض أو الرغبة وعدمها ،أي أن حاسة البصر سوف تكوّن مجال هذه الظواهر على شبكة العين ثم من الانعكاس إلى الشعور والإحساس.»[5]، والألوان أصناف من حيث الأصل، لذلك اهتم الباحثون بالتصنيف قبل الاهتمام بالدلالة فأوجدوا الألوان الأساسية والألوان الثانويّة، واستعملت ألفاظ أساسيّة للألوان أسساً للتمييز بين مفردات الألوان الأساسيّة التي تضمنت المفردات التالية«الأبيض والأسود والأحمر والأخضر والأصفر والأزرق والبني والأرجواني والوردي والبرتقالي والرمادي»[6] ، ولقد اشترط في الألوان الأساسيّة معاييراً من أهمها :

_ احتواء اللفظ على وحدة واحدة مثل red.

---

[4] قدور عبد الله ثاني ،سيميائيّة الصورة ـ مغامرة سيميائيّة في أشهر الإرسالات البصرية في العالم ، ، دار الغرب للنشر والتوزيع ، الجزائر ، ص : 142.

[5] المرجع السابق :15

[6] عمر أحمد مختار ، اللغة واللون، عالم الكتب ، ط1،القاهرة ،1997 ، ص: 35

مجلة ريحان للنشر العلمي تصدر عن مركز فِكر للدراسات والتطوير WWW.FIKER.OR
العدد السابع : ص ص 327-342 ISSN:2709-2097

_ ألا يكون اللفظ ممزوجاً بلفظ آخر كالقرمزي المتضمن في لفظ الأحمر .
_ أن يكون اللفظ شائعاً متضمناً في كل القوائم الاستقرائيّة .[7]

وبالرغم من حصر بعض المصطلحات للألوان ومشتقاتها إلا أنّه لا يمكن أن نحدد خطاباً كونياً موحّداً حول الألوان، كون الدلالات التي تبعثها الألوان محليّة مرتبطة بسياق ثقافي ولا وجود لترسيمة جاهزة ومطلقة لتأويل الألوان نظراً لوجود حاسيّة خاصّة اتجاه الشارح بحسب مؤوله وثقافته وتاريخه و جنسه وسنه[8]، وللّون الواحد قوّة إيحائيّة في الدلالات حيث يعتبر لغة مكثّفة المعاني ومكتنزة الدلالات حسب الموقع والبيئة نجد مثلاً:(اللون الأبيض) المرتبط بالصفاء والفطرة دلالة مختلفة مرتبطة بالخوف والشؤم في مرجعيته الدينيّة حيث يرتبط بالكفن والشيب وهي دلالة متناقضة كما يراها محمد خان[9] « اللون الواحد قد تكون له أكثر من دلالة وقد تكون له دلالات رمزية متعارضة ؛ كدلالة الموت والحياة في الوقت نفسه، ورمزية الألوان عموماً فيها الإشارة للتعدّد والتنوّع والتجلي والخفاء في الوقت نفسه، فهناك ألوان تؤكد الضوء أو النور الموجود في اللّوحة؛ ألوان البرتقالي والأحمر والأصفر مثلاً، وهي ألوان نشيطة قوية ساخنة دافئة متقدمة وهناك أيضاً ألوان تمتص الضوء كالأزرق والبنفسجي؛ ألوان باردة سلبية متراجعة بينما يعمل اللون الأخضر عملاً مزدوجاً فهو لون بارد ودافئ في الوقت نفسه، يرمز للكل؛ إلى الحياة وإلى احتمالات نهايات الحياة، يمتصّ الضوء ويؤكده في الوقت نفسه، وبدرجات متنوّعة يقوم الأبيض والأسود بهذه الوظائف المزدوجة فهما يمثلان: الإيجابي والسلبي والحياة والموت في الوقت نفسه»[10]، فاللّون لا يملك دلالة قادرة وثابتة ومشتركة بين جميع الكائنات البشرية وهذه الدلالة ليست سابقة على الممارسة الإنسانيّة وليست سابقة على تجسّد اللون في حالة من الحالات الإنسانيّة، ومن جهة ثانية لا ترتبط الدلالة باللون في ذاته إنها وليدة التقابلات الممكنة بين الألوان التي يتدخّل الفرد في صنعها وإعادة ترتيبها وخلق نمط تصوّري لها، بدلالة ذهنيّة تحوّله إلى دلالة مرئيّة يقابلها مع مجسّمات محاطة به يُؤثّر فيها وتُؤثّر فيه وقد تنتج نسقاً لغويّاً جديداً لها بدلالة أكثر إيضاحاً وقوّة.

2- الالوان والأنساق الاجتماعية:

[7] ينظر المرجع نفسه ، ص : 36_37

[8] ينظر : سعد بنكراد ، السميائيات ، مفاهيمها وتطبيقاتها ، ص :99

[9] محمد خان:استاذ الأدب العربي ، جامعة محمد خيضر بسكرة ، يشتغل حالياً, عميد كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، الجزائر.

[10] محمّد خان (العلم الوطني ، دراسة في الشكل واللون) ، ص : 18

مجلة ريحان للنشر العلمي تصدر عن مركز فِكر للدراسات والتطوير WWW.FIKER.OR
العدد السابع : ص ص 327-342 ISSN:2709-2097

تندرج ضمن الألوان معاني متنوّعة منها: (التضحية والوفاء والإقدام والإحجام والحُب والكراهيّة) ومن الألوان ما تمسح أحزاننا وهمومنا ومنها ما تدغدغ عواطفنا، ومنها ما تأمرنا أو تنهانا عن أخطائنا، وقد تشعرنا بعض الألوان بالبهجة والسعادة والسرور، واعتبر التحليل النفسي للألوان أنّ الأصفر الفاقع مثيرٌ في النفوس فسبحان الله الذي جعله لوناً لمعدن ثمين هو الذهب الذي يفتن القلوب والأبصار ويزيد المرء جمالاً وبريقاً ورونقاً والصخور بصلابتها ومتانتها تزدهر بالألوان[11] فتزيد من قيمتها حتى يصبح الصخرُ حجراً ثميناً فيكون منه الياقوت والزمرّد والذهب والفضّة، ومن عجائب الألوان أنّها تثير مشاعر الإنسان فيحسّ بالحرارة أو البرودة ولا يدري ما سبب ذلك:« فتأثير اللون في الإنسان بعيد الغور وقد أجريت تجارب متعددة أظهرت ما للألوان من تأثير في الإنسان سواء أدركنا أو لم ندرك، فإنّ اللون يؤثر في إقدامنا أو إحجامنا ويشعرنا بالحرارة أو البرد وبالسرور والكآبة، بل يؤثّر في شخصيّة الرجل وفي نظرته إلى الحياة، وقد حدث أنّ قام صاحب مصانع الألوان بتجربة حيث أعاد تلوين حجرة العاملات باللون الأزرق والخفيف فبدأت النساء بالشكوى من رطوبة الغرفة وشدّة البرد ، ثم اضطررن إلى لبس الملابس الثقيلة ، بينما كانت حرارة الغرفة مضبوطة ضبطاً آلياً للرطوبة والحرارة قبل وبعد تلوين الغرفة»[12]

ويبقى الإنسان هو الكائن الوحيد الذي يضفي جلّ الدلالات القيميّة على الألوان حسب نفسيته ومجتمعه وتأثير الطبيعة عليه ، ولم تعد الألوان مجرّد أصبغة تستعمل في الزينة والمحيط بل تتعدى ذلك إلى كشف بعض الفوائد التي تعالج المرضى وتخفف آلامهم، كما ارتبطت الألوان بالمناسبات: أفراحها وأحزانها وصارت لصيقة في بعض الأحيان بنوع الجنس نحو: اللون (الأزرق) في الألبسة للذكر و(الوردي) للأنثى من المولودين الجدد ، ثمّ انتقلت الدلالة إلى الشعر فارتبط الغموض بالرّمادي، والأحمر بالحُبّ، والأصفر بالغيرة .

ثانياً- دلالة الألوان عند الدارسين

من نعم الله الكثيرة التي لا تعدّ ولا تُحصى نعمة اختلاف الألوان التي تستحقّ الوقوف عندها والبحث فيها ، وهي نعمة عظيمة لا يشعر بها إلاّ من حرم منها ، فقد أراد الله عزّ وجلّ أن تختلف الألوان فيكون منها الأحمر والأصفر والأزرق والأبيض والأسود إلى غير ذلك من الألوان التي تميّز

[11] ينظر: فدوى حلمي ، ألوانك دليل شخصيتك ، دار اليازوري العلميّة للنشر والتوزيع ، عمان الأردن ، 2007. ، ص : 25،26.

[12] فدوى حلمي، ألوانك دليل شخصيتك ، ص : 27.

مجلة ريحان للنشر العلمي تصدر عن مركز فِكر للدراسات والتطوير WWW.FIKER.OR
العدد السابع : ص ص 327-342 ISSN:2709-2097

مخلوقات الله عزّ وجلّ،[13]، وتختلف درجة تعلّقنا بالألوان حسب تركيبة كلّ منّا مع أنّ جميعنا يحبّ الألوان وإن كان ذلك بدرجات متفاوتة، ولكلّ لون مفضّل يختلف أو يتفق فيه مع غيره ويمكن وضع الألوان في مجموعات منها:الألوان الفاتحة مثل (الأبيض والأصفر والبني) إذا اختارها الفرد تدلّ على صراحته وبساطته مع الناس والألوان الغامقة(مثل الأسود والرصاصي والبني الغامق) إذا اختارها الفرد تدلّ على عدم إظهار ما في داخله للآخرين ويميل صاحبها للغموض[14].

وإن كان تصنيف الألوان يقوم على درجة لونها، إلاّ أنّها تصنّف أيضاً حسب أثرها النفسي على الأفراد، إلى الدّافئة والباردة.

. **الألوان الدافئة** : مثل الأحمر والبرتقالي والبني الفاتح والأصفر ، وترجع هذه التسميّة إلى اقتراب هذه الألوان من لون النار والدم ، وكلاهما مصدر للحرارة والدفء ، وإذا اختارها الإنسان تدلّ على حبّه للناس ولأسرته وهذه الألوان تحمل في دلالاتها معنى القوّة .

. **الألوان الباردة** :مثل الأزرق والبني، سميت باردة لارتباطها بلون السماء والماء وكلاهما مصدر برودة، وإذا اختارها الإنسان تدلّ على عدم حبّه الاختلاط بالناس وتقتصر عاطفته على أقرب الناس إليه ولا يتأثّر بما يحدث للآخرين من مواقف، سواء أكانت محزنة أو مفرحة[15]

ولقد ارتبطت الألوان في دلالتها ببعض المسميات التي تعكس مضمونها حيث عكست في بعض ألفاظها دلالة حقيقيّة فجاءت إشارة نسقيّة لجوهرها علاقة حقيقيّة بشكلها أو كما أطلق عليها السيميائي بيرس **Peirce** (بالبلاغة الخالصة) مؤكداً على وجود علاقة وطيدة بين الدال والمدلول، وللألوان دلالات وضعها الإنسان لتعبّر عن الدلالات عن مصطلحات يتعارف عليها الناس فيما بينهم، كالألوان في الشوارع المتمثلة في إشارات المرور التي يفهمها المتعاملون معها؛ اللون الأحمر له دلالة الخطر والتوقّف تماماً واللون الأصفر استعداداً للسير واللون الأخضر يعني: السماح بالسير، وارتبط اللون بالدلالة المكوّنة من الدال والمدلول التي قسّمت إلى: دلالة لفظيّة وضعيّة كدلالة لفظ الشمس على الكوكب المضيء، ودلالة غير لفظيّة وضعيّة كدلالة إشارة المرور الحمراء للخطر ودلالة غير لفظيّة طبيعيّة كدلالة حمرة الوجه على الخجل وكلّ دلالة وضعيّة وعقليّة وطبيعيّة تعكس في الغالب حركة مرفقة بلون

[13] ينظر : مدحت محمّد أبو النصر ، لغة الجسم _ دراسة في نظريّة الاتصال غير اللفظي ،ص :125.

[14] ينظر : مدحت محمّد أبو النصر ، لغة الجسم _ دراسة في نظريّة الاتصال غير اللفظي ص:125

[15] ينظر: مدحت محمّد أبو النصر ، لغة الجسم _ دراسة في نظريّة الاتصال غير اللفظي ، ص :126

مجلة ريحان للنشر العلمي تصدر عن مركز فِكر للدراسات والتطوير WWW.FIKER.OR
العدد السابع : ص ص 327-342 ISSN:2709-2097

يتضمّن الحالة الشعوريّة والنفسيّة الحقيقيّة للفرد ، كما ترد نسقاً مرئياً دالاً على معنى محدّد ، كما هو وارد في اللون الأحمر داخل نظام المرور[16].

ونظراً لارتباط الإنسان بالألوان منذ زمن بعيد فقد أوجد لها عدّة تسميات واستمدها بالتقارب الشكلي من ألوان الطيف وبالتقارب التأملي من ألوان الطبيعة المحيطة به؛ السماء والأرض والبحر والخضرة ، وقد ثبت استخدام الألوان منذ القديم في فنون متعددة منها« الرسم الذي يمتدّ من 150 ألف سنة إلى 200ألف سنة مضت وقد عثر في اسبانيا على رسوم حوائط بعض الكهوف تمثّل بعض الحيوانات في ألوان حمراء وسوداء وصفراء ترجع إلى هذه الفترة السحيقة،ودفن إنسان العصر الجليدي موتاه في لون أصفر محمرّ ،ودهن عظامهم بلون أحمر »[17]، ولقد عرف العلماء تبايناً في أسماء الألوان وتطوّرها فتفرّعوا لأراء وربطوها بمراحل زمنيّة استمدت منها تسميات عرفت ببلاغة العلاقة بين الدال والمدلول التي تتطلبها المفردة لتؤدي وظيفة التواصل النسقيSystématique، ولتطوّر اللون أراء تؤكّد ظهور بعض المصطلحات والتسميات له منذ ظهوره وهي ثلاث أراء :

-**الرأي الأول** : وهو الرأي الذي ينكر وجود المصطلح في كلّ لّغات العالم والتي لا تسير وفق تتابع عام للغات ، ويؤكد على أنها تقوم على تقسيم مجموعة الطيف عشوائياً حسب ما ورد عن الدراسة المكثّفة لحقول الألوان المتطورة .

- **الرأي الثاني** : يساند الموقف الأول في نفيه لوجود تتابع المصطلح ، أما عن وجود اللفظ وعدم وجوده متلّق بوظيفة اللون الذي يوازيه مع البيئة والثقافة ، إضافة إلى العامل الحضاري المطلوب .

-**الرأي الثالث** : يرى أنّ الألوان تقوم على الإدراك الحسّي البشري، من خلال الرؤية ويربط أنصار هذا الرأي اللون بالتدّرج حسب موجاته ويستهلّ الترتيب باللون (الأحمر)،الذي يبدأ في التدرّج ليصل إلى الألوان ذات الموجات المنخفضة(كالأزرق)، وهذه الطريقة تميّز بنقاط يصعب التمييز بينها بواسطة العين،وبالتالي ترهف حاسة البصر وتميّز درجات أخرى من الألوان التي تأتي في مواقع متوسطة، لتتمكن من إيجاد اتصال باللون فتعطي الإنسان فرصة التفكير فيه لذلك يوضع له لفظ دال عليه من هنا تعدّدت ألفاظ الألوان ومرادفاتها حسب وظيفتها وصفاتها المعتمدة على الدّقة في التمييز بينها، ووجد أن كل لغة من اللّغات تأخذ أسماء الألوان الأساسيّة من أحد عشر لوناً فقط هي :الأسود والأبيض و الأحمر و

[16] ينظر : جمال محمّد سعيد، تأمّلات بين الألوان والغرائز والشيخوخة ، ب ط ، مكتبة زهراء الشرق ، القاهرة ، 1997، ص : 09،10.

[17] أحمد مختار عمر ، اللغة واللون ، ص : 34.

مجلة ريحان للنشر العلمي تصدر عن مركز فِكر للدراسات والتطوير WWW.FIKER.OR
العدد السابع : ص ص 327-342 ISSN:2709-2097

الأصفر الأخضر و الأزرق و البني و الأرجواني و الوردي و البرتقالي و الرمادي و وأنّ بعض اللّغات تستعمل اسمين فقط هما: الأبيض والأسود [18].

وتؤكد الدراسات الحديثة أنّ إدراك الألفاظ وكذا تسمياتها عند جميع الشعوب وعبر كل الحضارات التي تعاقبت عليها كان معروفاً وهو لا يختلف عن الشعوب المتحضرة في التعامل مع الألوان والاهتمام بتسمياتها وورود مصطلحات متعددة لها فاعتبر« مجال الإحساس بالألوان عند الشعوب البدائيّة موجود داخل نفس الحدود التي توجد عند الشعوب المتحضرة، ولم يثبت وجود أي نقص ملحوظ في إدراك الألوان الأساسيّة عند أي قبيلة من القبائل»[19] مما يؤكّد أقدميّة إدراك الفرد للألوان وارتباطه الدائم به، رغم تعدّد الأزمنة والأمكنة وتطوّر العقل البشري ورؤيته للألوان وتأثّره بها وتأثيره فيها مع الاحتفاظ ببعض المصطلحات اللونيّة مع تسميات قديمة تتعلّق بالحروب وانتصاراتها والبحر وإشاراته حيث « صار اللون مميّزاً لأنواع الجيوش والأخضر لسلاح المشاة والأبيض لسلاح البحريّة والأزرق لسلاح الطيران»[20] وتؤكّد الدراسات اللغويّة التي تربط السياق بالشكل على تعلّق اللون بالصورة من خلال الأشكال مرتبط بدلالات محددة ، فلا يأتي اللون إلى الصورة إلاّ مجسّداً في أشياء أو مجسّداً في ملابس أو تستوعبه أشكال؛ كالمثلث والمربع والدائرة، وفي كلّ حالة من هذه الحالات تكون أمام دلالة بعينها أو دلالات وتتمازج الألوان بالأشكال لتعطي دلالة جديدة، كما أنّ التقابلات بين الألوان هو ما يمنح الصورة أبعادها الدلاليّة خاصّة إذا تعلّق الأمر باللون العكسي؛ نحو:الأبيض والأسود؛ اللذان يخلقان الرمادي بدلالة جديدة هي الغموض،والمزج أو الربط بين الألوان داخل السياق الواحد يؤدي إلى تغيير في دلالة اللون الواحد، ومنه خلق لون ودلالة جديدة .[21]

ثالثاً-الألوان وتطوّر مدلولاتها لدى الافراد

ارتبط تطوّر الألوان بتصنيفها وتحديدها، وتؤكّد الدراسات على وجود بعض الألوان واختفاء أخرى، ولقد تعلّق تطوّر الألوان بحسب درجة إدراكها باعتبارها أيقونة بصريّة ومدى انجذاب البصر نحو بعضها وإهمال الآخر، مما جعلها تخضع لترتيب حسب أهميتها وكثرة انتشارها وقد « صار الإنسان واعياً

[18] ينظر: محمد هزاع الزواهرة ، اللون ودلالته في الشعر ، ص : 17

[19] أحمد مختار عمر ، اللغة واللون، ص : 24

[20] محمّد خان (العلم الوطني ، دراسة في الشكل واللون) ، ص : 18

[21] ينظر : سعد بنكراد ، السميائيات ، مفاهيمها وتطبيقاتها ، ص : 99.

مجلة ريحان للنشر العلمي تصدر عن مركز فِكر للدراسات والتطوير WWW.FIKER.OR
العدد السابع : ص ص 327-342 ISSN:2709-2097

بالألوان بنفس الترتيب الذي تظهر فيه في مجموعة الطيف، بدءاً بالألوان ذات الموجات الطويلة ومعنى هذا أنّ الإحساس بالأصفر تولّد قبل الإحساس بالأخضر والاعتراف بالألوان المحايدة ظهر مبكراً، ففي البداية تم التمييز بين الأسود والأحمر كلونين منفصلين، وهي أوّل مرحلة للتمييز بين الألوان وفي المرحلة الموالية أضيف اللون الأصفر، ثمّ ظهر اللون الأبيض فاللون الأخضر بعد أن كان متضمناً في اللون الأسود»[22]، وهذا التصنيف أضاف للألوان أهميّة منعزلة على بعضها بدلالات مغايرة ومختلفة وهو اعتراف حقيقي بوجود عدد هائل من الألوان تؤكده الطبيعة التي استمدّ منها، كما تعكسه الحالات الشعوريّة التي نعيشها في تعاملنا معه .

وعلى تطوّر الألوان وأسبقيتها يضيف بعض الدارسين نتائج دراساتهم معتمدين على الألفاظ الطويلة الموجة ودقّتها في إيصال المعنى ومنها :أنّ الألفاظ طويلة الموجة تكاد تكون أكبر دقّة من القصيرة ومن أسبق الألفاظ ظهوراً: الأحمر يليه الأصفر فالأخضر وأخيراً الأزرق، وتداخل الألفاظ يحدث عادة بين الألوان المتجاورة في مجموعة الطيف مثل:الأحمر مع البرتقالي أو الأصفر، والأصفر مع الأخضر، والأخضر مع الأزرق وأكثر أمثلة التداخل وقع بين الأخيرتين، أما التداخل بين الألوان المتباعدة فوقع بين الأحمر والأزرق، واعتبر اللون البرتقالي ذو الموجة الطويلة مدمجاً في الأحمر أو الأصفر لأنّه يمثّل نقطة انتقال بين الأحمر والأصفر[23]، ولقد توّج القرن التاسع عشر بتحديد مراحل التطوّر على أساس المستوى الثقافي والعقلي متعلّقة بالألفاظ الدالة على كلّ لون وهي أربعة: المرحلة الأولى تضمّ ثلاثة ألفاظ؛ لفظ يدل على: الأسود والأزرق والنيلي والبنفسجي، ولفظ يدل على: الأبيض والأصفر والأخضر، ولفظ يدلّ على: الأحمر والأرجواني والبرتقالي، وهيّ ألوان متقاربة في لونها ووظيفتها، و المرحلة الثانية أضافت إلى الأولى لفظ الأصفر، والمرحلة الثالثة وهي أكثر تقدماً من السابقة وتحتوي على خمسة ألفاظ هي: أسود وأبيض وأحمر وأصفر وأخضر، والمرحلة الرابعة كانت آخر المراحل؛وتحتوي على ستة ألفاظ بزيادة لفظ الأزرق واللون الأزرق بالذات كان موضع خلط أكثر من غيره كان بعضهم يخلطه مع الأخضر وبعضهم مع البنفسجي وبعضهم مع الأسود[24] ، وهذه المرحلة حدّدت ألفاظ الألوان بأكثر دقّة مميّزة كلّ لون عن غيره ومن ثمّ وظيفته .

---

[22] أحمد مختار عمر ، اللغة واللون، ص :22-23.

[23] ينظر : المرجع نفسه ، ص : 24.

[24] ينظر : أحمد مختار عمر ، اللغة واللون، ص : 25.

مجلة ريحان للنشر العلمي تصدر عن مركز فِكر للدراسات والتطوير WWW.FIKER.OR
العدد السابع : ص ص 327-342 ISSN:2709-2097

وللألوان ارتباط وثيق بحياة الشعوب الأولى التي عاشت مرحلة ما قبل التاريخ الذي ربطته بمجالات تحيط بها استلهمت منه دلالات، تعلّق جميعها بالدين والبيئة والعُرف وأضافت للإنسان البدائي رصيداً لغوياً جديداً تشبّع بمعاني متمايزة ، واعتبر المكتشف الأوّل له ، حيث زوّده ببعض المصطلحات وكان أوّل لون استهواه هو اللون الأبيض ثمّ الأخضر قبل أن يلحظ التناقض الكُلّي بين اللونين وربطها بطقوساته ، وأضاف لها دلالات ومعاني مرتبطة بالدين والعُرف ،ثمّ انغمس الإنسان في لعبة الألوان فتولّدت لديه الرغبة في معرفة اللون من الطبيعة حتى أصبح الأبيض رمزاً للعفّة والطهارة، والأسود للحزن والموت، والأزرق للوفاء والأصفر للخبث والحسد، والأحمر للعنف، والأخضر للرجاء، ومن ألوان قوس قزح السبعة استخلص الإنسان رقم سبعة لحسن الحظ، وساير تطوّر الألوان وتطوّر ألفاظها تطوّر في دلالاتها الذي تعدّى المحسوسات البسيطة المستمدّة من الطبيعة إلى أشكال الحضار ومنتوجاتها المختلفة، فظهرت أهميّة اللون في صناعة السيارات و النسيج وصارت تأخذ في استعمالاتها الشعبيّة بلاغة متداولة، مثل:اللون جردوني واللون زهر هندي ولون فوشيا واللون البُني المحروق واللون الزيتي،[25] والألوان تمثّل رمزيّة كونيّة، أو رمزيّة بيولوجيّة، أو رمزيّة بسيكولوجيّة،أو رمزية وطنيّة جماليّة ، كما هو الأمر بالنسبة إلى علم دولة الكويت المستوحى ألوانه من بيت شعر لصفي الدين الحلي[26] القائل[27]

بيضٌ صنائعُنا ، سود وقائعُنا*** خضر مرابعُنا ، حمرٌ، مواضينا[28].

والرمزيّة في العلم الوطني الجزائري استمدت معانيها من تاريخه المجيد الذي خلّد أرواح الشهداء الأبرار ودمائهم الغالية وأملهم المستقبلي في ازدهار الوطن، فكان اللون الأبيض والأحمر والأخضر، وامتدت هذه المرجعية إلى الأجيال التي توالت حيث تعلّقت بها وجعلتها مستنداً تاريخياً وثقافيًا خالداً له من المعاني والدلالات فيض من الأحاسيس والمشاعر.

رابعاً-الأضواء و الألوان

[25] ينظر: فدوى حلمي ، ألوانك دليل شخصيتك ، ص : 54.55

[26] صفي الدين الحلي:هو عبد العزيز بن سرايا بن علي الطائي ولد ونشأ بالكوفة سنة 677 هـ ، له ديوان شعري تقرب من ملوك الدولة الأرتقية ومدحهم ، ينظر : خير الدين الزركلي، قاموس الأعلام ، تراجم لأشهر الرجال والنساء والعرب والمستعربين والمستشرقين، المجلد 6، دار العلم للملايين، بيروت لبنان، ص: 17

[27] ينظر: فدوى حلمي، ألوانك دليل شخصيتك ، ص :.55

[28] صفي الدين الحلي ، الديوان ، دار صادر، دط ، بيروت لبنان، 1990، 1410، ص : 21.

يرتبط الضوء بالألوان وهو العاكس لها، يسهم في إيصالها إلى العين وتجاوبها معه ومن الألوان ما يزداد إيضاحها حين انعكاسها مع الضوء(كالأبيض) ولا يتعلّق الأمر بالأضواء الاصطناعيّة بل حتى الطبيعيّة ؛ كضياء الشمس والقمر والبرق ، وعن الموضوع أورد الجاحظ في كتابه الحيوان قائلاً:« النار حرّ وضياء ولكلّ ضياء بياض ونور وليس لكلّ بياض نور وضياء وقد غلط في هذا المقام عالم من المتكلّمين، والضياء ليس بلون لأنّ الألوان تتفاسد وذلك شائع في كلّها وعام في جميعها، فاللبن والحبر يتفاسدان ويتمازج التراب اليابس والماء السائل كما يتمازج الحارّ والبارد والحلو والحامض فصنيع البياض في السواد كصنيع السواد في البياض، والتفاسد الذي يقع بين الخضرة والحمرة و بذلك الوزن يقع بين البياض وجميع الألوان، وقد رأينا أنّ البياض ميّاع مفسد لسائر الألوان فأنت قد ترى الضياء على خلاف ذلك لأنه إذا سقط على الألوان المختلفة كان عمله فيها عملاً واحداً وهو التفصيل بين أجناسها وتمييز بعضها من بعض، فيَبين عن جميعها إبانة واحدة ولا تراه يخصّ البياض إلاّ بما يخصّ بمثله السواد ولا يعمل في الخضرة إلاّ مثل عمله في الحمرة، فدلّ ذلك على أنّ جنسه خلاف أجناس الألوان وجوهره خلاف جواهرها، وإنّما يدلّ على اختلاف الجوهر اختلاف الأعمال وباختلاف الأعمال واتفاقها تعرف اختلاف الأجسام واتفاقها»[29]، والإضاءة التي وردت في هذا المقام لها من القُوّة ما ليس للون في الفاعليّة والتأثير، كما أنّ اللون الذي تبعثه يفصح عن وظائف جمّة لا تتعلّق بالإضاءة والنور فقط، بل بالدفء والبرد و العلاج في بعض الأحيان .

تغيّر اللون مع شدّة الحرارة :

الألفاظ على اختلافها وتمازجها مع بعضها البعض ليست مستقرّة على حالها ودليلنا في الأطعمة التي يتغيّر لونها من شكل لآخر حسب المناخ والمدّة الزمنيّة ، حيث ينجرّ عليه تغيّر في الطعم والرائحة من الأحسن إلى الأسوأ أو من السيئة إلى الحسنة بفعل تغيّرات خارجيّة مقصودة أو غير مقصودة، فعن أبي هريرة عن النبيّ صلى الله عليه وسلّم قال:" أوقد على النار ألف سنة حتّى احمرّت ثمّ أوقد عليها ألف سنة حتّى ابيضت ثمّ أوقد عليها ألف سنة حتّى اسودّت فهي سوداءُ مظلمة [30]" ، يفصل لنا الحديث

[29] أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ،الحيوان ، المجلّد الثالث ،الطبعة الأولى ، منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، 1997 ص : 30 .

[30] أخرجه جلال الدين السيوطي ، في كتابه " جمع الجوامع " ، تحقيق وتعليق وضبط :خالد عبد الفتاح شبل ، دار الكتب العلميّة ، ط1 ، بيروت لبنان،2000، 1421 ، الحديث برقم (7928)، وأخرجه الهندي في كتابه "كنز العمال في سنن الأقوال" ، تحقيق : محمد عمر الدمياطي ، دار الكتب العلمية ، ط2 ، بيروت لبنان ، 2004، 1424،الحديث برقم (39483)، وأخرجه البيهقي في

كيف يتغيّر لون الإشعاع مع اشتداد الحرارة ، من الأحمر إلى الأبيض ثمّ الأسود ، ولو أتينا بقطعة حديد ، أو أيّ شيء آخر وسخناه تسخيناً كافياً فإنّه يحمرّ ، فإذا زدنا التسخين ورفعنا حرارته أكثر فإنّه أبيض سيّالٌ وإذا زدنا التسخين أيضاً ورفعنا حرارته أضعافاً نجد أنّ الإشعاع أخذ يميل إلى اللون الدّاكن ثمّ يتبخّر، وإذا استطعنا أن نحتفظ بالأبخرة في مكان محصور ثمّ رفعنا حرارتها فإنّها تسوَدَّ ثم تسودْ [31]، وكلّ هذه التحوّلات تعكس عبراً إلهية خلقها الله في هذا الكون كما أنّها تؤكّد إمكانيّة الانتقال من شكل لآخر حتى الزوال، وفي الوقت نفسه تحصر للون في بعض الأحيان مساحة محدّدة سرعان ما تزول لتفسح المجال أمام لون جديد وبلغة جديدة ووظيفة مغايرة وشكل مختلف.

الخاتمة:

وتبقى الألوان أجمل ما خلق الله ، تدعو الفرد إلى التدبّر والتفكير والانغماس فيها للحظات تأخذ الأبدان إلى عالم الجمال والتأمّل، تثير كوامن الفكر لأنّها آية من آيات الله سبحانه وتعالى والألوان علم له أصول وركائز تقوم على أسس من الدراسة والبحث، كما تعدّ من النعم الجليلة التي تحتاج منّا إلى معرفتها وإدراكها وارتبط بتدبّر الإنسان للّون وجعله لغة يتحاور بها مع غيره في كلّ ما يحيط ؛من أثاث ولباس وغيرهما لأنّ« اللون لغّة قائمة على نحو مستقل كأن نقول: لغة السجّاد أو لغة البيوت أو لغة السيارات أو لغة التطريز، وقد اهتمّ الإيرانيون كثيراً بلغة السجاد حتى بلغت هذه اللغة مستوى غير مسبوق من الإتقان، ويرمز السجاد الأحمر الذي يُبسط أو يوضع في المطارات لاستقبال الملوك أو رؤساء الجمهوريات وإلى التكريم والاحترام وهي عادة تسود معظم البلدان و لغة السجّاد كذلك لغة الأزهار ؛ التي تحمل معاني موزّعة على الألوان الطبيعيّة المتنوّعة، وتزداد لغة الألوان سطوعاً خاصّة إذا اقترنت بالموسيقى الصوتية»[32]، واختيار الألوان في الأنظمة المختلفة فنّ من الفنون التي يمارسها المختصّون في كلّ المجالات لإضافة جماليّة خالصة بوظيفة موجّهة وغاية مدركة.

كتابه " دلائل النبوة" ، وثق أصوله وخرّج حديثه وعلّق عليه : عبد المعطي قلعجي ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، 1985، الحديث برقم (213،)

وأخرجه الترمذي في " السنن" ، ضبط وتصحيح : خالد الغني محفوظ ، دار الكتب العلمية ، ط2 ، بيروت لبنان ، 2006، 1427، الحديث برقم (2595)

[31] ينظر : فدوى حلمي ، ألوانك دليل شخصيتك :34.

[32] فدوى حلمي ، ألوانك دليل شخصيتك ، ص : 57

ـ جلال الدين السيوطي ، في كتابه " جمع الجوامع " ، تحقيق وتعليق وضبط :خالد عبد الفتاح شبل ، دار الكتب العلميّة ، ط1 ، بيروت لبنان،2000، 1421

ـ جمال محمّد سعيد، تأمّلات بين الألوان والغرائز والشيخوخة ، ب ط ، مكتبة زهراء الشرق ، القاهرة ، 1997،

ـ خير الدين الزركلي، قاموس الأعلام ، تراجم لأشهر الرجال والنساء والعرب والمستعربين والمستشرقين، المجلد 6، دار العلم للملايين، بيروت لبنان،

النتائج والتوصيات:

ـ الاهتمام بلغة الألوان لأنها تُظهر من حيث دلالاتها أبعاداً عالميّةً، تدخل ضمن العلامات العُرفيّة غير المتفرّدة التي يتواصل بها الأفراد بمعاني مماثلة، إلاّ أنّ النظام الذي تؤوّل داخله يختلف من مجتمع لآخر حسب المعتقدات والعرف، كما نسـجّل ذلك التقابل في الدلالة داخل كل نظام

ـ ضرورة التواصل باللون لأنه يختزل الدلالات الكثيفة من الحياة والأمل وله دلالة عميقة في الفكر والثقافة، وهو مرتبط بالعمق الأصيل لمكنونات الاشياء.

ـــ اللون يخلق بيئة صالحة لاتخاذ القرارات لذلك ترتبط وظائفه بالاستمراريّة والتواصل كنظام الطرقات ويعبّر عن الحريّة والتناغم والتوازن، وهذه كلّها تعابير تنبع من الإحساس الطبيعي بالعدالة لأنه يعمل كمؤشر على تجدّد الحياة ويعكس في أقصى ذبذباته روح التطوّروالنماء

للألوان طاقة هائلة من الدلالات الرمزيّة والإيحائيّة يميل الإنسان إلى تفسيرها في ضوء علاقتها فيما بينها وفي ضوء ما يحيط بها من أشياء متفاعلة معها، وقد تتمايز دلالاته حسب عُرف الناس وميدان استخدامه..

المصادر والمراجع

ـــ أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ،الحيوان ، المجلّد الثالث ،الطبعة الأولى ، منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، 1997 ص : 30 .
ـ السميائيات ، مفاهيمها وتطبيقاتها ، سعيد بنكراد ، منشورات الزمن سلسلة شرفات 11، مطبعة النجاح الجديدة (دط) ، الدار البيضاء ، المغرب 2003.
ـــ العلم الوطني ، دراسة في الشكل واللون ، محمّد خان ، الملتقى الوطني الثاني للسيمياء والنص الأدبي من 15 إلى 16 أفريل 2002 ، منشورات الجامعة جامعة محمد خيضر بسكرة ، كليّة الآداب والعلوم الاجتماعيّة ، الجزائر.
ـــ اللغة و اللون ، أحمد مختار عمر ، عالم الكتب ، الطبعة 1 ، القاهرة 1997.
ـ اللون ودلالته في الشعر ،محمد هزاع الزواهرة ، دار الحامد للنشر والتوزيع ، الطبعة الأولى ،عمّان الأردن ، سنة 2008.
ـ ألوانك دليل شخصيتك ، فدوى حلمي ، دار اليازوري العلميّة للنشر والتوزيع عمان الأردن ، 2007
ـ تأمّلات بين الألوان والغرائز والشيخوخة ، جمال محمّد سعيد، ، ب ط مكتبة زهراء الشرق ، القاهرة ، 1997

ـ صفي الدين الحلي ، الديوان ، دار صادر، دط ، بيروت لبنان، 1990، 1410،
ـ فدوى حلمي ، ألوانك دليل شخصيتك ، دار اليازوري العلميّة للنشر والتوزيع ، عمان الأردن ، 2007.
لغة الجسم . دراسة في نظريّة الاتصال غير اللفظي . سلسلة المدرّب العلميّة ، مدحت محمّد أبو النصر نشر مجموعة النيل العربيّة ، الطبعة الأولى،سنة 2006,مصر.
لغة الجسم دراسة في نظريّة الاتصال غير اللفظي . سلسلة المدرّب العلميّة ، مدحت محمّد أبو النصر نشر مجموعة النيل العربيّة ، الطبعة الأولى،سنة 2006,مصر.